

في عام ٢١٠ هجرية . وإذا لا يسوغ القول باستمداد البلاغيين العرب الفكرة المشار إليها من كتاب أجنبي لم تثبت ترجمته إلى العربية إلا في أواخر القرن الثالث في الوقت الذي كانت فيه تلك الفكرة موجودة ومعروفة في صحيفة عربية متداولة قبل ذلك بعشرات السنين .

وفيما يتصل بالنوع الثالث من أنواع البديع التي ذكرها ابن المعتز وهو « الجناس » نرى الدكتور مندر يعضي في نفس الخط الذي اختاره من البداية ، وهو تأثر ابن المعتز بأرسطو . فالجناس التام والناقص في البلاغة العربية هو ما يسميه أرسطو بالمشابهة Paromoiwsis . بل إن « رد الإعجاز على ما تقدمها » وهو النوع الرابع من وجوه البديع عند ابن المعتز ليس إلا ضربا من الجناس - كما يقول - وبذلك يكون ابن المعتز قد اقتبس منه أيضا (١٩٦) . وقد حاول الدكتور مندر أن يخفف من إيجاعات كلمة « الأخذ » التي وصف بها ابن المعتز ، فذهب إلى أن تأثره بأرسطو في الوجوه البديعية السابقة لا يسلبه فضله ، فهو لم يأخذ عنه إلا مجرد التوجيه العام . والفطنة إلى طريقة تحليل هذه الظواهر التي طبقها على اللغة العربية ، باحثا عن الأمثلة في القرآن والحديث وشعر المتقدمين والمتأخرين (١٩٧) . وهذا في تقديرنا ضرب من التراجع عن رأيه السابق ، لكنه تراجع محدود يحتفظ بفكرة التأثير ، ولا ينفها .

فإذا رجعنا إلى الدكتور إبراهيم سلامة لنرى موقفه من ظاهرة الجناس رأينا أنه يذكرنا بموقفه من الطباق ، فهو يرى ابتداء أن الجناس من الأصناف البديعية التي سلمت للعرب فقد التفت إليه الجاحظ ، وهو مما جاء عفوا سهلا على ألسنة العرب ، وشواهد كثيرة في القديم والحديث ، فضلا عن أن اللغة العربية تساعد على استعماله ، لأن أساسه ألفاظ مشتركة تتفق مبانها ، وتختلف معانيها اختلافا تاما أو ناقصا ، واللغة العربية تحفظ كثيرا من هذه الكلمات (١٩٨) . إلا أن هذا الرأي لا يستقر طويلا في نفس القارئ ، فسرعان ما يتخلخل أو يُنتَقَض من

(١٩٦) ذهب الدكتور إبراهيم سلامة إلى أن هذا اللون البديعي من صنع العرب وخاصة بلاغيهم وأنه لم يعثر فيما قرأ لأرسطو من شعر وخطابة على شيء فيه . انظر بلاغة أرسطو ص ٧٩ - ٨٠ .

(١٩٧) انظر النقد المنهجي ص ٦٥ .

(١٩٨) انظر بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ٧٦ .